العدد ٨/ ٢٠٢٠

الأحد ٢٣ شباط

أحد مرفع اللحم (الدينونة)

بوليكربوس اسقف إزمير

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثالث

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نزيدُ وإن لم نأكُلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميُره وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثانِ* فيهلِكَ بسبَبِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجله* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيحِ* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولًا. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم

أحد الدينونة

يُقرأ اليوم فصلٌ من الإصحاح ٢٥ من بشارة الإنجيليّ متّى، فكرته الأساسيّة هي المجيء الثاني للربّ يسوع كي يدين العالم. في الأحدَين الماضيَين تعلّمنا أنّ التواضع يستدعي رحمة الله، ورأينا طول أناة الربّ لملاقاة التائب، وها اليوم نصل إلى الدينونة. رحمة الله وطول أناته تسبق الدينونة، لأنّ الرحمة والحكم العادل لا يلتقيان. أتى ربّنا، في مجيئه الأوّل، رحيمًا وشفوقًا، أمّا في الثاني فسيكون عادلًا ويجازي كلًّا حسب أعماله.

نقرأ في الكتاب المقدّس أنّ الربّ يسوع، عندما أراد التكلّم على ملكوت السماوات، أو على المجيء الثاني، كان يستخدم الأمثال ليسهّل الفهم. نجد عبارة: «يشبه ملكوت السماوات» ٩ مرّات في إنجيل متّى، وقد استخدمها الربّ في كلّ أمثاله عن الملكوت. اللافت في إنجيل اليوم أنّ الربّ يسوع لم يقل هذه العبارة، بل قال: «متى جاء ابن البشر»، إشارةً إلى الدينونة، ثمّ أخبر الحاضرين مَثَلَ فصل الخراف عن الجداء. أراد الربّ أن يقول إنّ وقت تسمية الأمور بأسمائها قد حان، ولم تعد الأمور رمزيّة، بل إنّ هذا ما سيحدث تحديدًا، وهكذا سيدين الله العالم فعليًا.

أتى الربّ يسوع، في مجيئه الأوّل، بجسد بشريّ، حاملًا في ذاته كلّ خصائص الجسد، بما فيها خزيه وعاره اللّذين حصلا بعد السقوط. أمّا في مجيئه الثاني، فسيأتي بمجده ويجلس على عرشه وتحتشد كلّ الخليقة أمامه. تتوافق هذه الصورة الواردة عند الإنجيليّ متّى مع رؤية النبيّ دانيال: «كنت أرى في رؤى اللّيل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيّام فقرّبوه قدّامه. فأُعطيَ سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كلّ الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبديّ، ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٣–١٤). يحضر الربّ بكلّ مجده ليدين البشر، لكنّه لا يأتي وحده بل «جميع الملائكة القدّيسين معه». تحضر الملائكة مع الربّ لتكون شهودَ هذه المحاكمة. الملائكة أتمت دورها

حين أرسلها الله لخدمة البشر لترشدهم إلى الخلاص، ودورُها الآن هو أن «تجمع إليه كلّ الأمم ليميّز بينهم».

«يميّز بعضهم عن بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء»؛ يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم: «الناس في الأرض يتمازجون؛ الأبرار يعيشون مع الأشرار. فلا فروق واضحة بين الأبرار والأشرار. يتعذّر عليك أن تميّز الشجرة الصحيحة من الذابلة في فصل الشتاء، ويسهل عليك الأمر في فصل الربيع الجميل. هكذا يبيّن الإيمان والعمل وضع الإنسان. الشرّير لن ينتج ورقًا أو ثمرًا، أمّا البار فسيكون مكسوًا بأوراق الحياة الأبديّة ومزيّنًا بثمار المجد. هكذا يفصلهم الراعي السماويّ والربّ. الراعي يصنّف الحيوانات إنطلاقًا من الفوارق في أجسادها، والمسيح يصنّف الناس إنطلاقًا من فوارق نفوسهم. الأبرار هم كالخراف الوديعة التي لا تؤذي أحدًا، والصابرة التي تحتمل أذيّة الآخرين من دون مقاومة. الخطأة هم كالجداء المعروفة بانفعاليّتها تجاه الحيوانات الأُخرى، وبكبريائها وحبّها للقتال».

بعدما يفصل الربّ الناس بين أبرار وأشرار، يقول للّذين عن يمينه: «تعالوا يا مبارَكي أبي رِثوا المُلك المُعدّ لكم منذ إنشاء العالَم». لم يقل «خذوا»، بل «رِثوا»، كأنّه ملك أبيك وأنتَ تنال حقّك. يتوجّه الربّ بالكلام أوّلًا إلى الأبرار كيلا تبقى حجّة وأعذار للأشرار حين يبدأ بمحاكمتهم، لأنّ الربّ يتبع معيار الحكم نفسه مع الجميع. لن يكون هذا المعيار بحسب صفات الإنسان بل بحسب أعماله. يقول الربّ للأبرار: «لأنّي جعت فأطعمتموني،وعطشت فسقيتموني...»، لم يقل لأنّكم كنتم رحماء ولطفاء ومحبّين، بل أعمال الرحمة التي فعلتموها هي معيار الحكم العادل. حينئذٍ يجيبه الأبرار بتواضعهم: «متى رأيناك جائعًا أو عطشانًا فسقيناك...». طبعًا، الربّ الخالق السماوات والأرض والمغذّي الجميع لن يجوع أو يعطش أو يمرض، لذلك قال: «كلّما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه». لقد سبق الربّ فذكّرنا أنّ المحبّة هي أعظم الوصايا، وأنّ محبّة الله تكون من خلال محبّة القريب.

بعدما نال الأبرار ملكوت السماوات، يقول الربّ للّذين عن يساره: «إذهبوا عنّي يا ملاعين إلى النار الأبديّة المُعدَّة لإبليس وملائكته». لم يقل لهم: «يا من لعنكم الله»، لأنّ أعمالهم هي التي لعنتهم. يخلق الله كلّ الناس متساوين لكنّ أفعالهم تحدّد حياتهم. الأبرار سيرثون «المُلك المعّد لهم» بينما الأشرار سيذهبون «إلى النار المُعدّة لإبليس». لا يشاء الله أن يكون أحد الذين خلقهم على صورته ومثاله في مصفّ إبليس وملائكته، لأنّه «يريد أنّ جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحقّ يقبلون» (١تي ٢: ٤)، لكنّه وهب الإنسان الحريّة ليختار، من خلال أعماله، في أيّ مصفّ سيُحسب.

يجيب الأشرار كما أجاب الأبرار: «أين رأيناك ولم نخدمك؟»، مع أنّهم سمعوا جواب الربّ للأبرار عن السؤال ذاته. تواضع الأبرار يدفعهم للحطّ من قيمة الأعمال المنسوبة إليهم لأنّهم يعيشون قول السيّد: «قولوا إنّنا عبيد بطّالون، لأنّنا إنّما عملنا ما كان يجب علينا» (لو ١٧: ١٠)، بينما كبرياء أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخراف عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا الملكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشاناً فسقيناك*

ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانـاً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

الأشرار تقلّل من شرّ أعمالهم لأنّ من صفاتهم «التعلّل بعلل الخطايا» (مز ١٤١: ٤).

يدعونا الربّ، من خلال إنجيله وتدبيره الخلاصيّ الذي أعدّه من أجلنا، لنعيش حياةً أرضيّة هدفها ميراث ملكوت السماوات. أعطانا مفتاح الملكوت، وعلّمنا أن الطريق يمرّ من خلال محبّة القريب. ألا أهّلَنا الله أن نجوز هذا الصوم المُقبل ممسكين بيد الآخَر، لنصل معه، وبسببه، إلى معاينة قيامة الربّ من بين الأموات.

إستشهاد القدّيس بوليكربوس

تكثر شهادات آباء الكنيسة وكتّابها عن مكانة الأسقف بوليكربوس الذي صحب القدّيس يوحنّا الإنجيليّ اللاّهوتيّ، والذي سامه الرسل تلامذةُ الربّ أسقفًا، وهو كان بحقٍّ آخر الشهود على عصر الرسل. سعى من أجل توحيد تاريخ تعييد الفصح المقدّس بين الكنائس في الشرق والغرب، فزار البابا أنيساتوس لهذه الغاية. إلتقى، في روما، بالهرطوقيّ ماركيون المعروف بمحاربته للاهوت الروح القدس وبتصرّفه في نصوص الكتاب المقدّس. هذا، تجاسر أن يسأل القدّيس إن كان يعرفه، فأجابه أبو الكنيسة ومعلّمها:«أعرفك، أنت بِكر إبليس».

وُلد القدّيس بوليكربوس حوالى العام ٧٠ م. وسيم أسقفًا قبيل العام ١١٠ م. أمّا استشهاده فكان ما بين ١٥٥ و١٥٦ م. يذكر القدّيس إيريناوس أسقف ليون أنّه كتب عدّة رسائل إلى الكنائس والأساقفة معاصريه، لكن لم تصلنا منها إلّا واحدة هي رسالته إلى أهل فيليبي.

وصلتنا رسالة من كنيسة سميرنا إلى كنيسة فيلوميليوم كُتبت العام ١٥٦، بُعَيْدَ استشهاد القدّيس بوليكاربوس، وهي من الوثائق البالغة الأهمّيّة التي نكتنزها من العصور المسيحيّة المبكّرة. إنّها نصٌّ موجَز يصف الجهاد الأخير للقدّيس. فحين سأله الحاكم العسكريّ أن ينكر المسيح، أجابه القدّيس: «طوال ثمانين سنة خدمت المسيح ولم يسئ إليّ بأيّ شيء؛ فكيف لي أن أنكر مَلِكي الذي خلّصني؟!».

الأهمّ في الوثيقة هو صلاة القدّيس بوليكاربوس الأخيرة التي تعكس فكر كنيسة سميرنا في ذلك العصر. يسبّح القدّيس هاتفًا: «أيّها الربّ الإله الكلّيّ القدرة، يا أبا ابنك المحبوب والمبارك يسوع المسيح، الذي به نلنا معرفتك الكاملة، أنت ربّ الملائكة والقوّات وكلّ خليقةٍ وكلّ جماعة القدّيسين الذين يعيشون في حضرتك. أباركك لأنّك جعلتني مستحقًا لهذا اليوم ولهذه الساعة حتّى أشترك مع عداد الشهداء في كأس مسيحك بموت القيامة للحياة الأبديّة بالنَّفس والجسد في خلود الروح القدس. إجعلني مقبولًا في حضرتك في هذا اليوم كذبيحة غنيّة مَرضيّة تمامًا كما سبقت أنت الإله الحقيقيّ العادم العيب فأعددتَ وأعلنتَ فأتممت. لهذا، ولأجل كلّ شيء، أباركك وأمجّدك بالكاهن السماويّ الأعلى والأبديّ يسوع المسيح، ابنك المحبوب، الذي أنت ممجّد معه ومع الروح القدس الآن وإلى الدهر الآتي، آمين».

تعلن هذه الصلاة إيمانًا غايةً في الوضوح بالإله المثلّث الأقانيم

وبالابن المتجسّد وبسرّ الفداء. الله هو خالق كلّ الأشياء، بيسوع المسيح، الأبديّ والذي هو «معرفة الله الكاملة» التي استُعلنت. الخلود هو عطيّة الروح القدس وهو قيامة النفس والجسد. لا نجد، في الكنيسة الأولى، الفكر الفلسفيّ اليونانيّ القديم القائل بالخلود الطبيعيّ للنفس. ليست النفس البشريّة، في الإيمان المسيحيّ، خالدةً بالطبيعة بل بالنعمة، بنعمة الروح القدس وبموهبة الله وعطيّته السخيّة. كما أنّ المجد يقدَّمُ لله الآب، ولله الابن وللروح القدس.

الخاصيّة الأُخرى لهذه الرسالة، التي لا بدّ من الوقوف عندها، هي أنّنا، للمرّة الأولى في الكنيسة الأولى، نجد ذكرًا صريحًا موثّقًا «لإكرام القدّيسين». إنّ بوليكاربوس «الأب الرسولي والمعلّم النبويّ وأسقف الكنيسة الجامعة في سميرنا» يُتوّج الآن «بإكليل الخلود».

تذكر الرسالة أنّ كثيرين ممّن عرفوا القدّيس بوليكاربوس أرادوا «أن يلامسوا بشرته». الرسالة التي تشير إلى هذا الأمر تعتبره طبيعيًّا ومسلّمًا به ومنتظرًا من المؤمنين. فقد طالب المسيحيّون السلطات العسكريّة برفات القدّيس، فيما توسّط بعض الوجهاء من أجل حرمانهم من هذه البركة، زاعمين أنّ الكنيسة ستتعبّد لبوليكاربوس عوضًا عن المسيح المصلوب. لذا، يوضح كاتب الرسالة أنّ المعارضين «يجهلون أنّه لا يمكننا التخلّي عن المسيح الذي تألّم من أجل خلاص كلّ العالم ومن هم مُخلّصون، العادم اللّوم من أجل الخطأة، ولا يمكننا أن نعبد سواه؛ لأنّنا نعبد واحدًا فقط هو ابن الله، فيما نحبّ باستحقاقٍ الشهداء كتلاميذ للرّبّ وكمقتدين به بسبب إخلاصهم غير المحدود لملكهم ومعلمهم».

أخذ مسيحيّو سميرنا، بمهابة ومحبّة للرجل وإكرامٍ لجسده الذي تألّم من أجل المسيح، «عظامه الأغلى من الحجارة الكريمة والأنفَس من الذهب وأودعوها في مكان لائق. هناك سيسمح لنا الرّبّ... أن نلتئم معًا بفرح وحبور لنحتفل بيوم استشهاده كعيد ميلاد، في ذكرى هؤلاء الأبطال الذين سبقوا، ومن أجل تدريب وتهيئة مَن هم مزمعون أن يسيروا على خطاهم».

هكذا كانت رفات القديسين منذ الكنيسة الأولى عربونًا ملموسًا لمجيء المسيح الثاني المجيد ولعطية الحياة الأبدية الخالدة. كانت بقايا القدّيسين الشهداء مصدر فرحٍ وإكرامٍ وحبٍّ وتعييدٍ للكنيسة في ذكرى تمجيدهم. بل كانت الأداة الملموسة لتدريب المؤمنين على الثبات والرسوخ في الجهاد الموضوع أمامهم من أجل محبّة المسيح، وخير تعبيرٍ عن محبّة الكنيسة لسيّدهم.

أمّا القدّيس بوليكاربوس، فلم يكن مجرّد معلّم، بل كان نبيًّا وصوتًا صارخًا في الكنيسة، وشهيدًا، «شاء الكلّ أن يقتدوا باستشهاده كخير تعبيرٍ عن إنجيل المسيح».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

تأمل

أمّا «المسيح الدجّال» فسوف يأتي كغدّار، بهيئةٍ تُجيز له خِداع الجميع. سوف يأتي وكأنّه متواضع، وديع، ويقدّم نفسه على أنّه ضحيّةُ الظلم، وكارهُ الأوثان، ويتراءى بمظهر التقوى، والصلاح، ويكون صديقًا للفقراء، محبوبًا من الجميع، بل وسوف يكون في وسعه أيضًا أن يتّخذ التدابير البارعة في إرضاء الجميع، بغية أن يحبّه الناس. وسوف يخدع العالم إلى أن يوطِّد مُلكه، ويكون قادرًا أيضًا على اجتراح آياتٍ عظيمةٍ وعجائب بهدف الترهيب... وبما أنّ العديد من الطبقات الاجتماعية والأمم سوف تتبادل تقدير مزاياه وسلطانه، فسوف توافق كلُّها بالإجماع على الفكرة الوحيدة لتنادي به مَلِكًا بَحميّة، هاذّةً في ما بينها: «أَوَيمكننا أن نجد إنسانًا آخر صالحا وعادلاً مثله؟».

القديس إفرام السرياني